

الأهرام فى 18 أكتوبر 2004

مؤتمر الباجواش فى سول بكوريا الجنوبية بناء جسور فى عالم منقسم د.محمد قدرى سعيد*

لأول مرة أرحل كل هذه المسافة جهة الشرق. عشر ساعات متواصلة من الطيران المباشر بين القاهرة وسول عاصمة كوريا الجنوبية للاشتراك فى المؤتمر السنوى لمنظمة الباجواش العالمية للعلوم والعلاقات الدولية وحضور اجتماعات مجلس المنظمة بوصفى عضوا بالمجلس منذ عام 2002. قام بافتتاح المؤتمر رئيس الجمهورية الكورى السابق كيم داي جونج الحاصل على جائزة نوبل للسلام بسبب جهوده لإنهاء حالة العداء بين جنوب شبه الجزيرة الكورية وشمالها من خلال سياسته المعروفة بسياسة "الشمس المشرقة"، وكان هدفها إذابة الجليد بين شطرى البلد الواحد المنقسم وتحقيق الوحدة بين طرفيه. وبالإضافة إلى الرئيس كيم داي دونج حضر إلى المؤتمر وتحدث إليه وزراء التعليم والدفاع ومحافظ سول ورئيس أكاديمية البحث العلمى وآخرون من الشخصيات المهمة فى الحكومة والقطاع الخاص الكورى، كما رأس اللجنة المنظمة الجنرال السابق الدكتور بارك سيه-جيك، وقد عبر الرجل فى أكثر من مناسبة عن فخره بأنه رأس أيضا من قبل اللجنة المنظمة لدورة سول الأولمبية عام 1988، ومونديال كأس العالم كوريا-اليابان فى كرة القدم عام 2002. وتحدث أيضا إلى المؤتمر الدكتور محمد البرادعى المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية بالإضافة إلى مشاركة حوالى 150 عالما ومتخصصا من معظم دول العالم فى قضايا نزع السلاح ومنع الانتشار وأسلحة الدمار الشامل، ومن العالم العربى والإسلامى حضر إلى المؤتمر متخصصون من مصر والعراق وسوريا وتركيا وإيران وباكستان. وقد انقسم المؤتمر بعد جلسة الافتتاح إلى خمس مجموعات عمل ناقشت أوراقا وبحوث فى مسائل نزع السلاح النووى، وبناء التعاون الأمنى فى الشرق الأوسط، والحرب الدولية ضد الإرهاب، والتعاون الاقتصادى والتنمية فى شرق آسيا، والتهديدات غير العسكرية فى مجال الأمن. والجديد أن مجلس المنظمة قد وافق فى اجتماعاته التى سبقت المؤتمر مباشرة على اختيار مصر لعقد مؤتمر 2006 بعد اليابان التى سوف تستضيف مؤتمر 2005 فى مدينة هيروشيما بمناسبة مرور ستون عاما على إلقاء أول قنبلة ذرية عليها فى 6 أغسطس 1945.

جاء عنوان مؤتمر الباجواش لهذا العام متفقا مع مقتضى الحال فى منطقة شرق آسيا، وهى المنطقة الثانية الأكثر احتقانا بعد الشرق الأوسط من حيث حالة الأمن، حيث تنتشر فيها الصواريخ الباليستية والأسلحة النووية، وتقع فى حوض ثلاث قوى دولية ليست على وفاق دائم هى الولايات المتحدة وروسيا والصين، وكانت المنطقة من قبل مسرحا رئيسيا من مسارح الحرب العالمية الثانية وفيها تم إسقاط القنبلة الذرية مرتين، ومازالت بها بلاد مقسمة مثل كوريا المنقسمة إلى بلدين: كوريا الجنوبية التى تدين بالنظام الغربى الديموقراطى الرأسمالى ويرابط فوق أرضها حوالى 30 ألف جندي أمريكى، وكوريا الشمالية ويحكمها الحزب الشيوعى حيث تسيطر الدولة والحزب على كل شئ. وتواجه شبه الجزيرة الكورية ظروف صعبة، حيث تؤثر على الأجواء الأمنية فيها تطورات الأزمة النووية بين كوريا الشمالية والولايات المتحدة. وهناك اعتقاد قوى أن كوريا الشمالية تمتلك القنبلة، وهو موقف مماثل للأزمة النووية مع إيران فى الشرق الأوسط، لذلك تحاول مجموعة الدول الست

* لواء متقاعد دكتور ، مستشار عسكري لمركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية - القاهرة - جمهورية مصر العربية.
mkadry@ahram.org.eg

التوفيق بين كوريا الشمالية وأمريكا للوصول إلى حل يحول بين انفجار الموقف وتعرض كوريا الشمالية لعمل عسكري أمريكي. وفي ضوء كل هذه المحددات جاء عنوان المؤتمر "بناء جسور بين عالم منقسم من خلال التعاون الدولي ونزع السلاح" معبرا عن الأجواء التي ينعقد في وسطها، وقد بذلت محاولات جادة من جانب الباجواش وكوريا الجنوبية لدعوة ممثلين من كوريا الشمالية لحضور المؤتمر لكنها لسوء الحظ لم تكفل بالنجاح.

لم تكن أحداث الشرق الأوسط بعيدة عن أجواء المؤتمر، فهناك أشياء مشتركة تجمع بين المنطقتين أهمها الولايات المتحدة الحاضرة بقوتها العسكرية هنا وهناك، وأيضا بأفكارها الاستراتيجية والثقافية، وكما هو معروف أن اليابان وكوريا الجنوبية وتايوان وسنغافورة لها قوات في العراق، وأيضا الفلبين قبل أن تقرر مؤخرا سحب قواتها من هناك. وفي جلسات العمل تم عرض الأوراق والبحوث، وكان هناك اعتقاد سائد أن العالم يعبر مفترقا صعبا سوف يتحدد فيه مستقبله القادم خلال القرن الحالي. وعبر الكثير من المشتركين عن تخوفهم من انهيار معاهدة منع الانتشار إذا لم يتم مراجعة الموقف الدولي برمته من المسألة النووية، خاصة أن المعاهدة سوف يتم مراجعتها بعد شهور قليلة. ومن الواضح أن صمت الدول النووية الخمس عن تعهدهم في إطار المعاهدة بالتخلص من الأسلحة النووية خلال فترة زمنية معقولة لم يتحقق حتى الآن، كما أن ظهور دول نووية أخرى خارج المعاهدة مثل الهند وباكستان يمثل شرخا جديدا لها، ويضاف إلى ذلك معضلة إسرائيل التي تمتلك القنبلة ولا تعلن عنها في نفس الوقت بكل ما يحيط بذلك من غموض وشك. ولقد أضفت أحداث الإرهاب في مصر اعتقادا راسخا داخل المؤتمر بأن حل المشاكل الدولية المزمنة هو الطريق الوحيد لمواجهة جادة جماعية ضد الإرهاب الدولي، الذي لو تأخرنا عن مواجهته بحزم سوف يصل إلى يديه قريبا السلاح النووي وباقي أسلحة الدمار الشامل.

من بين المحاضرات الممتعة في المؤتمر كانت تلك التي ألقاها الدكتور محمد البرادعي وفيها ركز على مستقبل عملية منع الانتشار النووي في العالم، وأولويات الوكالة في عالم متغير غير مستقر، وأشار في المحاضرة إلى أهمية وجود إطار أمني جماعي فعال وحل النزاعات الإقليمية لمحاصرة الانتشار النووي خاصة مع تزايد الخوف من وصول الأسلحة النووية إلى أيدي منظمات إرهابية. وأكد البرادعي على أن التحقق والدبلوماسية معا عاملان مؤثران في منع الانتشار، وأن الوكالة ليس في وسعها التهاون في حالات عدم تنفيذ بنود الاتفاقية للدول الموقعة عليها. وقد أوضحت المناقشات بعد المحاضرة اهتمام الوكالة بالسوق السوداء للمواد النووية، ومحاولات الوكالة حصار هذا السوق بالطرق السياسية، وإعطاء المشورة في مسائل الأمن النووي. ونفى البرادعي أن تكون الوكالة لعبة في يد الولايات المتحدة، والدليل على ذلك أن الوكالة قد اتخذت موقفا واضحا في موضوع العراق عندما طالبت بوقت إضافي لإنهاء تقريرها هناك قبل أن تندلع الحرب الأمر الذي رفضته الولايات المتحدة وبريطانيا.

وفي إطار اجتماعات مجلس المنظمة أصدر المجلس بيانه السنوي الذي حذر فيه بوضوح من مغبة انهيار نظام منع الانتشار، وزيادة مخاطر وصول أسلحة الدمار الشامل إلى الشبكات الإرهابية، كما حمل الدول النووية مسئولية انتشار الأسلحة النووية في العالم بسبب احتكارها للتكنولوجيا النووية واتباعها لاستراتيجيات هجومية تقوم على الإجهاض المبكر تدفع الدول الأخرى إلى اللجوء إلى امتلاك سلاح نووي للدفاع عن نفسها. كما أدان البيان انسحاب كوريا الشمالية من معاهدة منع الانتشار واعتبره ضربة قاسية لمستقبل المعاهدة، كما أدان أيضا السياسة النووية الإسرائيلية واعتبرها سببا في لجوء بعض دول الشرق الأوسط المحيطة بها لمحاولة تطوير قدراتها النووية.

وأشار البيان إلى العقبات التي تواجه الوصول إلى معاهدة لحظر تداول المواد النووية، وكذلك تلك التي تعوق دخول معاهدة المنع الشامل للتجارب النووية إلى مرحلة التطبيق الفعلي. وتضمن البيان إشارات خاصة إلى الوضع الأمني في فلسطين والعراق، ومعانات كثير من الشعوب من نقص الغذاء والمياه والرعاية الصحية وضرورة مواجهة تلك التحديات بروح المسؤولية الجماعية.

ومن المعروف أن منظمة الباجواش قد أنشئت في 1957 من أجل عقد حوار دائم بين العلماء والمتخصصين في الشؤون الأمنية والدولية، من منطلق مسؤولية العلماء الفردية أمام البشرية جمعاء من أجل تحقيق السلام ومنع الحرب. وقد جاء إنشاء المنظمة معبرا عن البيان الشهير المشترك الذي صدر عن العالم الأمريكي الكبير ألبرت أينشتاين والفيلسوف الإنجليزي برتراند راسل في 9 يولية 1955 يناشدان فيه العلماء تحمل مسؤولية أعمالهم تجاه البشرية بعد أن أصبح الخطر النووي يهددها بالفناء. وكان للمنظمة الفضل في الجمع لأول مرة بين عدد من علماء الأسلحة النووية في الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وآخرين من دول أخرى شرقية وغربية في قرية "باجواش" الصغيرة بمقاطعة نونافاسكوتيا بكندا خلال الفترة من 7-10 يولية 1957. ومنذ ذلك التاريخ عقدت المنظمة حوالي 290 مؤتمرا، وأصبح لها أفرع وطنية في أكثر من خمسين دولة، وحصلت بسبب جهودها في دعم السلام على جائزة نوبل عام 1995 مناصفة مع رئيسها الشرفي سير جوزيف رودبلات وهو الشخصية الوحيدة الباقية على قيد الحياة من بين الاثنتين والعشرين عالما الذين حضروا الاجتماع الأول في كندا. وقد شارك رود بلات البالغ من العمر 96 عاما في مؤتمر سول، وألقى كلمة في افتتاح المؤتمر، ثم محاضرة رائعة في نهايته بعنوان "عالم بدون حرب: هل هو شيء مرغوب فيه؟ وهل ذلك ممكن؟ ربما نعود إليها لأهميتها في مقال قادم إنشاء الله.